17^{00} / S|A



الكاتب الأديب البارع اللبيب

أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير

الكناني الأندلسي البلنسي

تغمده الله برحمته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ترجمة المصنف ﴾

من كتاب الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكناني الواصل الى الاندلس

أوليته دخل جده عبد السلام بن جبير الاندلسي في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم سنة ١٢٣ وكان نزوله بكورة شذونه وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن اليأس بلنسي الاصل ثم غرناطي الاستيطان شرق وغرب وعاد الى غرناطة (حاله) كان أديباً بارعا شاعراً مجيدا سنياً فاضلا نزيه الهمة سري النفس كريم الاخلاق أنيق الطريقة كتب بسبتة عن أبي سعيد عثمن بن عبد المؤمن وبغرناطة عن غيره من ذوي قرابته وله فيهم أمداح كثيرة ثم نزع عن ذلك وتوجه الى المشرق وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته واجادته ونظمه فائق ونثره بديع وكلامه المرسل سهل حسن وأغراضه جليلة ومحاسنه ضخمة وذكره شهير ورحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار رحمه الله (رحلته) قال من عنى بخبره رحل ثلاثا من الاندلس الي المشرق وحج في كل واحدة منها فصل عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس

لثمان خلون من شوال سنة ٥٧٨ صحبة أبي جعفر بن حسان ثم عاد الى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم عام ٨١ ولقى بها أعلاما يأتي التعريف بهم فى مشيخته وصنف الرحلة المشهورة وذكر ما نقله فيها وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن النفوس الى تلك المعالم

ولما شاع الخبر المبهج بفتح (بيت) المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى قوي عزمه على أعمال الرحلة الثانية فتحرك اليها من غرناطة يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الاول من سنة ٥٨٥ ثم آب الي غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة ٨٧ وسكن غرناطة ثم مالقة ثم سبتة ثم فاس منقطعا الى اسماع الحديث والتصوف وترويه ماعنده وفضله بديع وورعه يتحقق وأعماله الصالحة تذكر ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجه عاتكة أم المجد بنت الوزير أبى جعفر الوقشى وكان كلفه بها جماً فعظم وجده عليها فوصل مكة وجاور بها طويلا ثم بيت المقدس ثم تحول لمصر واسكندريه فأقام يحدث ويؤخذ عنه الى أن لحق بربه مشيخته روى بالاندلس عن أبيه وأبي الحسن بن محمد بن أبى العيش وأبي عبد الله بن أحمد بن عروس وابن الاصيلى وأخذ العربية عن أبى الحجاج بن يسعون وبسبتة عن أبي عبد الله بن عيسى التميمى السبتى وأجاز له أبو الوليد ابن مبكة وأبو ابراهيم اسحاق ابن ابراهيم الغساني التونسى وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى

تميمى السبتى وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشى الميانشى نزيل مكه وأبو جعفر أحمد بن على القرطبى الفنكى وأبو الحجاج يوسف ابن أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد البغدادي وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان وببغداد العالم الواعظ المستبحر نادرة الفلك أبو الفرج وكناه أبا الفضائل ابن الجوزى وحضر بعض مجالسه الوعظية فشاهد رجلا ليس من عمرو وزيد وفى جوف الفراء كل الصيد وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن على بن عبد الله بن عباس السلمى الجوارى وأبو سعيد عبدالله ابن محمد بن أبي عصرون وأبو الطاهر بركات الخشوعي وسمع عليه وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد ابن حامد الاصبهاني من أئمة الكتاب وأخذ عنه بعض كلامه وغيره وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الاخضر بن على بن عساكر وسمع عليه وأبو الوليد سمعيل بن على بن ابراهيم والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الربعى وعبد الرحمن بن اسمعيل بن أبي سعيد الصوفي وأجازوا له وبمصر المتكلم الصوفى العارف أبو البركات حيان بن عبد العزيز وعنه الحاذى حذوه

(من أخذ عنه) قال بن عبد الملك أخذ عنه أبو اسحاق بن مهيب وبن الواعظ وأبو تمام بن اسمعيل وأبو الحسن ابن نصر بن فتح بن عبد الله البجائى وأبو الحسن الشارى وأبو سليمان بن حوط الله وأبو زكريا وأبو بكر يحيي بن محمد بن أبي الغمر وأبو عبد الله بن

حسن بن مجبر وأبو العباس بن عبد المؤمن البناني وأبو محمد بن الحسن اللوابي بن تامتيت وابن محمد المرروري وأبو عمر وابن سالم وعثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التونسي وممن روى عنه بالاسكندرية رشيد الدين أبو محمد عبدالكريم بن عطاء الله وبعصر رشيد الدين بن عطار وفخر القضاة بن الجباب وابنه جمال القضاة (تصانيفه) منها نظمه قال ابن عبد الملك وقفت منه على مجلد يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس وجزء سماه نتيجة وجدا الجوانح في تأبين القرين الصالح في مراثي زوجه أم المجد وجزء سماه نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان وله ترسيل بديع وحكم مستجادة وكتاب رحلته وكان أبو الحسن الشاري يقول انها ليست من تصانيفه وانما قيد معاني ما تضمنته فتولى ترتيبها وتنضيد معانيها بعض الآخذين عنه على ماتلقاه والله أعلم

﴿ شعره ﴾ من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها وقد شارف المدينة المكرمة طيبة على ساكنها من الله أفضل الصلوات وأزكي التسليم

أقول وآنست بالليل نارا ... لعل سراج الهدي قد أنارا
والا فما بال أفق الدجي ... كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس ... فما باله قد تجلى نهارا
وهذا نسيم شذا المسك قد ... أعير أم المسك منه استعارا
وكانت رواحلنا تشتكي ... وجاها فقد سبقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء السرى ... فعدنا نباري سراع المهارا
أظن النفوس قد استشعرت ... بلوغ هوي تخذته شعارا

بشائر صبح السدي آذنت بأن الحبيب تداني مزارا
جرى ذكر طيبة ما بيننا فلا قلب فى الركب الا وطارا
حنينا الى أحمد المصطفى وشوقا يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أحد مشرقا بنور من الشهداء استنارا
فمن أجل ذلك ظل الدجى يحل عقود النجوم انتثارا
ومن ذلك الترب طار النسيم نشرا وعم الجهات انتشارا
ومن طرب الركب حث الخطى اليها ونادا البدار البدارا
ولما حللنا فناء الرسول نزلنا بأكرم خلق جوارا
وحين دنونا لفرض السلام قصرنا الخطي ولزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ الا اختلاسا ولا نرفع الطرف الا انكسارا
ولا نظهر الوجد الا اكتتاما ولا نلفظ القول الا سرارا
سوى اننا لم نطق أعينا بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نعيد السلام عليها مرارا
ولولا مهابته في النفوس لثمنا الثري والتزمنا الجدارا
قضينا بزورته حجنا وبالعمرتين ختمنا اعتمارا
اليك اليك نبي الهدي ركبت البحارا وجبت القفارا
وفارقت أهلى ولا منة ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف نمن على من به نؤمل السيئات اغتفارا
دعانى اليك هوي كامن أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديت لبيك داعي الهدي وما كنت عنك أطيق اصطبارا

وطنت نفسي بحكم الهوى على وقلت رضيت اختيارا
أخوض الدجي وأروض السري ولا أطعم النوم الاغرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرت ولولم أصادق مطارا
وأجدر من نال منك الرضى محب تراك على البعد نارا
عسي لحظة منك لى فى غد تمهد لى في الجنان القرارا
فما ضل من بسراك اهتدي ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من من الله عليه بحج بيته وزيارة قبر نبيه صلي الله عليه وسلم يقول

هنيئاً لمن حج بيت الهدي وحط عن النفس أوزارها
وان السعادة مضمونة لمن حج طيبة أوزارها

وفى مثل ذلك يقول

اذا بلغ امرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله
وان زار قبر نبي الهدي فقد أكمل الله ما أمله

وقال فى تفضيل المشرق

لا يستوى شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باستحقاق
أنظر ترى للشمس عند طلوعها زهوا يعجب بهجة الاشراق
وانظر لها عند الغروب كهيئة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها ان تأذن الدنيا بعزم فراق

وقال فى الوصايا

عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقى الزمان شفيقا

كذلك بشكوى الناس اذ ذاك انها　　تسر عدواً أو تسوء صديقا

وقال

ومصطنع لمعروف فلتة غافل　　ان لم تضعها فى محل عاقل

كالنفس فى شهواتها ان لم تكن　　وقفالها عادت بضر عاجل

(نثره) من حكمه قوله ان شرف الانسان فبشرف واحسان وان فاق فبفضل وارفاق ينبغي ان يحفظ الانسان لسانه كما يحفظ جفن انسانه فرب كلمة تقال تحدث عثرة لا تقال كم كست فلتات الالسنة لحداد من وراثها ملابس الحداد نحن في زمان لا يحظى فيه بنفق الامن عامل بنفاق شغل الناس عن الطريق بزخارف الاعراض فخلوا الصدور عنها والاعراض آثروا دنياهي اضغاث أحلام وكم هفت في حبها من أحلام أطالوا فيها آمالهم وقصروا أعمالهم ما بالهم لم يتفرغوا لغيرها مالهم فى غير ميدانها استباق ولا لسوى هداها اشتياق تالله لو كشف الأسرار لما كان هذا الاسرار لسهرت العيون وتفجرت من شؤنها الجفون فلو ان عين البصيرة من ستنها هابة لرأت جميع مافي الدنيا ريح هابه ولكن استولى العمى على البصائر ولا يعلم الانسان ما اليه صائر نسئل الله هداية سبيله ورحمة تورد نسيم الفردوس وسلسبيله انه الحنان المنان لا رب سواه (ومنها) فلتات الهبات أشبه شئ بفلتات الشهوات منها نافع لا يعقب ندما ومنها ضار لا يبقي فى النفس ألما فضرر الهبة وقوعها عند من لا يعتقد لحقها أداء وربما أثرت عنده اعتداء وضرر الشهوات ان لم توقف ابتداء فتصير لمتبعها داء مثلها كمثل المسكر يلتذ صاحبه بحلاوة جناه

فاذا صحا يعرف ما قد جناه وعكس هذه القضية هي الحالة المرضية

(مولده) ببلنسية سنة ٥٣٩ وقيل بشاطبة سنة ٥٤٠ ووفاته توفي بالاسكندرية ليلة الاربعاء التاسع والعشرين لشعبان سنة ٦١٤

﴿ ترجمة المصنف ﴾

من تاريخ مصر الكبير المقفى للشيخ تقي الدين أحمد المقريزي رحمه الله

محمد بن أحمد بن جبير بن محمد جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الداخل الي الاندلس من ولد ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أبو الحسن بن أبي جعفر الكناني الاندلسي البلنسي مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة ٥٤٠ ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله الاصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القراآت وعني بالآداب فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة ونال بها دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وحدث بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسي التميمي السبتي عن القاضي عياض وتوجه الى الحج ودخل بغداد والشام وسمع بهما وقدم مصر فسمع منه الحافظان أبو محمد المنذري والحافظ أبو الحسين يحيي بن علي القرشي وتوفي في يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤

﴿ ترجمة المصنف ﴾

من الباب الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للشيخ أحمد المقرى رحمه الله

ومنهم (يعني من الراحلين الى المشرق من الاندلس) (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير) الكناني صاحب الرحلة وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة ٥٤٠ ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله الاصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القرآآت وعني بالأدب فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصنا نضيرا من أحد بساتينها فذوى في يده

لا تغترب عن وطن ... واذكر تصاريف النوى
اما ترى الغصن اذا ... ما فارق الاصل ذوى

وقال رحمه الله يخاطب الصدر الخجندي

يا من حوى الدين في عصره ... صدراً يحل العلم فيه فؤاد
ماذا يرى سيدنا المرتضى ... في زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغي منه سوى أحرف ... يعتدها أشرف زخر يفاد
ترسمها أنمله مثل ما ... نمق زهر الروض كف العهاد
في رقعة كالصبح أهدى لها ... يد المعالي مسك ليل المداد
جائزة يورثنيها العلى ... جائزة تبقي وتفني البلاد

يستصحب الشكر خديماً له اوالشكر للامجاد أسني عتاد

فأجاب الصدر الخجندي

لك الله من خاطب خلتى ومن قابس يجتدى سقط زندى

* أجزت له ما أجازه لى وما حدثوه وما صح عندى

وكاتب هذى السطور التى تراهن عبد اللطيف الخجندي

ورافق بن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن حسان بن أحمد بن الحسن القضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من ابن أبي الطاهر الخشوعى وأجاز لهما أبو سعيد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعاً الى المغرب فسمع منها به بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا متحققاً بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم وكتب عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضى أبو محمد عبد الحق ابن عطية وتوفي أبو جعفر هذا بمراكش سنة ٨ أو ٥٩٩ ولم يبلغ الخمسين سنة رحمه الله

﴿رجع﴾ الى جبير ﴿ قال لسان الدين ﴾ فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الاداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت فى السلطان الناصر لصلاح الدين ابن أيوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلعت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر

ومنها قوله

رفعت مغارم مكس الحجاز بأنعامك الشامل الغامر

ومنت أكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغرب من شاكر

وللأخرى منه في الشكوى بابن شكر الذى كان آخذ المكس من الناس في الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاح وقد نالته مصر والشام

ومن شعره

خلاء هذا الزمان الخئون توالت عليهم حروف العلل
قضيت التعجب من بينهم فصرت أطالع باب البدل

وقوله

غريب تذكر أوطانه فهيج بالذكر أشجانه
يحل عرى صبره بالاسى ويعقد بالنجم أجفانه

وقال رحمه الله لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا

بدت لي أعلام بيت الهدى بمكة والنور باد عليه
فأحرمت شوقا له بالهوى وأهديت قلبي هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى له موزا

يا مهدي الموز تبقى ومبقيه لك فوه
وزيه عن قريب من باديك تاه

وقال رحمه الله

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شوم على العصر

لاتقتدى في الدين الا بما سن بن سينا وأبو نصر

وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة شاغـلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدي خلفها وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بأفعـالهـا الشنيعه طائفة عن هدي الشريعه
ليست تري فاعلا حكيما يفعل شيئاً سـوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله من غرناطة قصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل الاسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذى القعدة الحرام من السنة فكانت اقامته على متن البحر عن الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندراني فى الحادي والثلاثين وحج رحمه الله وتجول فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمها الله كما (قال ابن الرقيق) من أعلام العلماء العارفين بالله كتب في اول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرنطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فأظهر الانقباض وقال ياسيدى ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعاً فلما رأى العزيمة شرب سبع اكؤس فملأ له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الي منزله وأضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب للسيد وأعلمه انه حلف بايمان لا خروج

له عنها ان يحج فى تلك السنة فأسعفه وباع ملكا له تزود به وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر ومن شعره فى جارية تركها بغرناطة

طول اغترب وبرح شوق   لا صبر والله لى عليه
اليك شكو الذي ألاقى   يا خير من يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب   قد غلق الرهن فى يديه
ودعته وهو بارتماض   يظهر لى بعض ما لديه
فلو ترى طل نرجسيه   ينهل فى ورد وجنتيه
أبصرت دراً على عقيق   من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بيدي الناس ولما وصل بغداد تذكر بلده

سقى الله باب الطاق صوب غمامة   ورد الي الاوطان كل غريب

(انتهى) وقال فى رحلته فى حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه مؤنق المشرق الخ ﴿ وقال العلامة بن جابر ﴾ الوادي آشى بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق ما نصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامه وما وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا أزمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المنبهات وقد اختصر من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ﴿ انتهى رجع ﴾ الى كلام ابن جبير فنقول ثم ذكر فى وصف الجامع انه من أشهر جوامع الاسلام حسناً والاتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين الخ ثم مد النفس وما به من العجائب ثم

قال بعد عـدة أوراق ما نصه وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذى امامه غرفة ولها هيئة طاق كبير الخ (وحكي ابن سعيد) وغيره ان غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكني أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقـد شبهوها بها لما راوها كثيره المياه والاشجار وقـد أطل عليها جبـل الثلج وفي ذلك يقول بن جبير صاحب الرحلة

يا دمشق الغرب هاتيـ ـك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري وهى تنصب اليها

(قال بن سعيد) أشار بن جبير الى أن غرناطة فى مكان مشرف وغوطتها تحتها تجري فيها الانهار ودمشق فى وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعـالى في وصف الجنة تجرى من تحتها الانهـار (انتهى) ...
رجع الى ابن جبير رحمه الله ومن شعره قوله

اياك والشـهوة فى ملبس والبس من الاثواب أسمالها
تواضع الانسان فى نفسـه أشرف النفس واسمي لها

وقال

تنزه عن العـوراء مهما سمعتها صيانة نفس فهـو بالحـراشـبه
اذا أنت جاوبت السفيه مشاتما فمن يتلقي الشتم بالشتم أسفه

وقال

أقول وقد حان الوداع وأسلمت قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيا رب أهلي فى يديك وديعـة وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبد الله ابن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابي الحسين مكارم لو انها ... عدّت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت ... عن بعض نماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

يا وفد الله فزتم بالمنا ... فهنيئاً لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم ... فلهذا برّح الشوق بنا
نحن في الغرب ويجرى ذكركم ... بغروب الدمع يجرى هتنا

ومنها

فيناديه على شحط النوى ... من لنا يوما فقلت ملنا
سر بنا يا حادي الركب عسى ... ان نلاقي يوم جمع سربنا
ما دعى داعى النوى لما دعي ... غير صب شفه برح العنا
شم لنا البرق اذ لاح وقل ... جمع الله بجمع شملنا
علنا نلقى خيالا منكم ... بالمذيذ الذكر وهنا عاننا
لو دنا الدهر علينا لقضي ... باجتماع بكم بالمنحنا
لاح برق موهنا من نحوكم ... فلعمرى ما هنا العيش هنا
أنتم الاحباب انشكو بعدكم ... هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضى والقبول ... يبلل بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة علي صاحبها الصلاة وأتم

السلام وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً من الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا　　الابيات الثـلاثة *

وكان أبو الحسين بن الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها (وقال صاحب الملتمس) في حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيراً ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره ابن اليسع في تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه قوله يخاطب أبا عمران الزاهد باشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبي　　لديك وأنت أهل للوديعة
صحبت بك الزمان اخاوفاء　　فها هو قد تمر القطيعة

قال وكان من أهل المروءات عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان والمبادرة لا يناس الغرباء وفي ذلك يقول

يحسب الناس بأني متعب　　في الشفاعات وتكليف الورى
والذي يتعبهم من ذلك لي　　راحة في غيرها لن أفكري
وبودّي لو أقضي العمر في　　خدمة الطلاب حتى في الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله أول رحلته

طال شوقي الى بقاء ثلاث　　لا تشد الرحال الا اليها
ان النفس في سماء الاماني　　طائر لا يحوم الا عليهـا
قص منه الجناح فهو مهيض　　كل يوم يرجو الوقوع لديها

وقال

اذ بلغ العبد أرض الحجاز البيتين

وعاد رحمه الله الى الاندلس بعد رحلته الاولى التى حل فيها دمشق والموصل و بغداد وركب الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب في خليج صقلية الضيق وقاسي شدائد الي أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم عاد مسير الى المشرق بعد مدة الي أن مات بالاسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضاً

لى صديق خسرت فيه ودادي ‏ ‏ حين صارت سلامتي منه ربحا
حسن القول سيء الفعل كالجز ‏ ‏ ار سمى واتبع القول ذبحا

وحدث رحمه الله بكتاب الشفاء عن أبي عبدالله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن على القرشي وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرقيق رحمه الله وقال ابن الرقيق في السنة بعدها وقال (أبو الربيع بن سالم) أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي البجائي ويعرف بابن الخطيب لابى الحسين بن جبير وقال وهو مما كتب به الي من الديار المصرية في رحلته الاخيرة لما بلغه ولايتي قضاء سبتة وكان أبو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لى سكن فى الثرى ‏ ‏ وخل كريم اليها أتى
فلو استطيع ركبت الهوى ‏ ‏ فزرت بها الحى والميتا

وأنشد ابن جبير رحمه الله لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة أو فى طريقها قوله

الى نحو أرض المنى من شرق اندلس ... شرق يؤلف بين الماء والقبس

الي آخرها ومن شعره قوله

ياخير مولى دعاه عبد ... اعمل فى الباطل اجتهاده
هب لى ماقد علمت منى ... ياعالم الغيب والشهاده

وقال رحمه الله

وانى لاوثر من اصطفي ... واغضى على زلة العاثر
وأهوى الزيارة ممن أحب ... لاعتقد الفضل للزائر

وقال رحمه الله

عجبت للمرء فى دنياه تطمعه ... من العيش والاجل المحتوم يقطعه
يمسي ويصبح فى عشواء يخبطها ... اعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسرورا بصحبته ... وقد تيقن ان الدهر يصرعه
ويجمع المال حرصا لا يفارقه ... وقد درى انه للغير يجمعه
تراه يشفقه من تضييع درهمه ... وليس يشفق من دين يضيقه
واسوء الناس تدبير العاقبة ... من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت علي غدر الزمان وجهده ... وشاب لى السم الذعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم اجد ... صديقا جميل الغيب فى حال بعده
وكم صاحب عاشرته وألفته ... فما دام لى يوما على حسن عهده

وكم غرني تحسين ظني به فلم يضئ لي على طول اقتداحي لزنده
واغرب من عنقاء في الدهر مغرب أخو ثقة يسقيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمر تريده فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جود عند كل مهمة فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة فلم أر من قد نال جداً بجده
فكن ذا اقتصاد في أمورك كلها فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما يحرم الانسان رزقا لعجزه كما لا ينال الرزق يوماً بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر وفوق أفواهها شيء من العسل
تغر ذائقها حتى اذا كشفت له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

ثكلت اخلاء هذا الزمان فعندي مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شأنهم فصرت أطالع باب البدل

انتهى ولابن جبير رحمه الله تعالى

من اللهفسأل كل أمر تريده ... فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم ... من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك ان ترضى بتقبيل راحة ... فقد قيل عنها انها السجدة الصغرا

وهو نحو قول القائل

أيها المستطيل بالبغى أقصر ... ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وتذكر قول الاله تعالى ... ان قارون كان من قوم موسي

وقال وقد شهد العيد بطندتة من قري مصر

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة ... بأحواز مصر والاحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جد بمدمع ... فليس لنا الا المدامع قربان

وقال ابن جبير

قد أحدث الناس أموراً فلا ... تعمل بها انى امرؤ ناصح
فما جماع الخير الا الذي ... كان عليه السلف الصالح

وقال

رب أن لم تؤتني سعة ... فأطو عني فضلة العمر
لا أحب اللبث في زمن ... حاجتي فيه الى البشر
فهم كسر لمنجبر ... ما هم جبر لمنكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله مكة ١٣ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي اولها

بلغت المنى وحللت الحرم ... فعاد شبابك بعد الهرم
فأهلا بمكة اهلا بها ... وشكراً لمن شكره يلتزم

وهي طويلة وسبق بعضها وقال رحمه الله عند تحركه للرحلة الحجازية

قولي وقد دعا للخير داع   حنت له حنين المستهام
حرمت ان يسلى اغماض   ولم ارحل الى البيت الحرام
ولا طابت بي لآمال ان لم   اطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياة لي اذا لم   ازر في طيبة خير الانام
و... السلام واقتضيه   رضى يدنى الي دار السلام

ونختم ترجمته بقوله

وحب النبي المصطفى وابن عمه   عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم   واطلعهم افق الهدي انجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم   وحبهم اسنى الذخائر للاخري
و... لصحب الكرام بعض   فاني أري البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده   وهم نصروا دين الهدي بالظبي نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم   لدى الملأ الأعلى واكرم به ذكرا

وقوله في ... ميمية

... شفاعته عصمة   فيوم التنادي به يعتصم
عسى ان تجاب ... دعوة   لديه فتكفي بها ما أهم
ويرعى ... في غد   زماما فما زال يرعي الذمم
عليه السلام وطوبى لمن   ألم بتربته فاستلم
... ... أهوائها   ونخبط عشواءها في الظلم

رويدك جرت فعج واقصد ... امامك نهج الطريق الاعم
وبت قبل عض بنان الاسى ... ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة فى غد ... لعبد بسيم العصاة اتسم
جري فى مبادينا عصيانه ... مسيئاً ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى ... ويارب عفوك عما اجترم

وقال المقري رحمة الله عليه في الباب السابع من كتابه ما نصه ومن الحكايات فى مروءة أهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس فى ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله (يحسب الناس بانى متعب الخ) وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكى انى كنت أحرص الناس على ان أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله ما بينى وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال انا ما كان القصد لى فى اجتماعكما ولكن سعيت جهدى فى غرضك وها أنا سعي أيضاً فى افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم أر فى وجهه أولا ولا أخيراً عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابى ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مائة

دينار مؤمنية فقال يا ابن أخي اعلم اني كنت السبب في هذا القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عند عمك فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له انا ما استحي منك في هذ الامر والله ان أخذت هذا المال لاتلفنه فيما أتلفت فيه مال والدي من أمور الشباب ولا يحل لك ان تمكنني به بعد ان شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهي ثم قال صاحب الملتمس وتذا كرنا يوما معه حالة الزاهد أبو عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل　　وكم ذا أحوم ولا أنزل
وزجرعيني فلا ترعوي　　وانصح نفسي فلا تقبل
وكم تعلـل لي ويحها　　بعل وسوق وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا　　واغفل والموت لا يغفل
وفي كل يوم ينادي بنا　　منادي الرحيل ألا فارحلوا
من بعد سبعين أرجو البقا　　وسبع أتت بعدها تعجل
كأني بي وشيكا الى مصرعي　　يساق بنعشي ولا أمهل
فياليت شعري بعد السؤ　　الوطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

تسمع أخي نصيحتي　　والنصح من محصل الديانه
لا تقربن الى الشهادة　　والوساطة والامانه

نسلم من ان تعزى لزور   أو فضول أو خنانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصية فى الوساطة فقال ماساعدتنى رقة وجهى على ذلك انتهى

وفى كتاب رحلة العبدري ما صورته قال وأنشدنى (شيخنا أبو زيد) أيضاً قال أنشدني أبو عمرو بن الشقر قال أنشدني الفقيه الزاهد المتقطع الى الله بمهجته أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني بالاسكندرية لنفسه

تأن فى الامر لا تكن عجلا   فمن تأنى صاب أو كادا
وكن بحبل الالاه معتصما   تأمن به بغى كل من كادا
فمن رجاه فنال بغيته   عبد مسيئ بنفسه كادا
ومن تطل صحبة الزمان له   يلق خطوبا به وانكادا

و بنحوه له

من العقل عن لحظة فى هوي   فان البصيرة طوع البصر
وغض جفونك عن عفة   فان زناء العيون النظر

وأنشدنى أيضاً بمثله

أما في الدهر معتبر   ففيه الصفو والكدر
فسلنى عن تقلبه   فعند جهينة الخبر
صحبناه الى أجل   نراقبه ونحتذر
فيا عجبا لمرتحل   ولا يدرى متى السفر

وقال العبدرى أيضاً بعد وصفه الاسكندرية وعجائبها ومن الامر

المستغرب وخَذل لذي أفصح عن قلة دينهم (يعني أهل الاسكندرية) نهم يعترضون لحجاج ويجرعونهم من بحر الاهانة الملح الاجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج يبحثوا عما بأيديهم من مال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبي وجعل الانفصال عنهم غاية أربي وذلك لما وصل اليها الركب جاءت شرذمة من الحرس لا حرس الله مهجتهم خسيسة ولا أعدم منهم لاسد الآفات فريسة فمدوا في الحجاج أيديهم وفتشوا الرجال والنساء وألزموهم أنواعا من المظالم واذاقوهم ألوانا من الهوان ثم استحلفوهم وراء ذلك كله وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللئيمة في بلد من البلاد ولا رأيت في الناس أقسى قلوبا ولا أقل حياء ومروءة ولا أكثر اعراضا عن الله سبحانه وجفاء لاهل دينه من أهل هذا البلد نعوذ بالله من الخذلان فلو شاء لاعتدل مائل وانتبه وسنان وكنت اذ رأيت فعل المذكورين ظننت ان ذلك أمر أحدثوه حتى حدثني نور الدين أبو عبد الله بن زين الدين أبي الحسن يحيي بن الشيخ وجيه الدين أبي علي منصور بن عبد العزيز بن حباسة الاسكندري بمدرسة جده المذكور حكاية اقتضت أن لهم في هذه الفضائح سلفا غير صالح وذلك انه حدثني املاءً من كتابه قال حدثني الشيخ الصالح أبو العباس احمد بن عمر بن محمد السابق الحميري بثغر الاسكندرية سنة ٦٦٢ قال حدثني الشيخ الامام المحدث أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي سنة

٦١١ انه ورد الى الاسكندرية فى ركب عظيم عن المغاربة برسم الحج فأمر الناظر علي البلاد بمد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيديهم ففتش الرجال والنساء وهتكت حرمة الحرم ولم يكن فيهم ابقاء على أحد قال فلما جاءتنى النوبة وكانت معى حرم ذكرتهم بالله ووعظتهم فلم يعرجوا على قولي ولا التفتوا الي كلامي وفتشونى كما فتشوا غيرى فاستخرت الله تعالى ونظمت هذه القصيدة ناصحا لامير المسلمين صلاح الدين يوسف بن أيوب ومذكرا بالله فى حقوق المسلمين ومادحا له فقلت

اطلت على أفقك الزاهر ... سعود من الفلك الدائر
فأبشر فان رقاب العدي ... تمد الى سيفك الباتر
وعما قليل يحل الردى ... بكيدهم الناكث الغادر
وخصب الورى يوم يسقي ... الثرى سحائب من دمها الهامر
فكم لك من فتكة فيهم ... حكت فتكة الاسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة ... فلله درك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها ... فليس لها الدهر من جابر
وأمضيت جدك فى غزوهم ... فتعسا لجدهم العاثر
فأدبر ملكهم بالشآم ... وولى كأمسهم الدابر
جنود بالرعب منصورة ... فناجز متى شئت أو صابر
فكلهم غارق هالك ... بتيار عسكرك الزاخر
ثأرت لدين الهدي فى العدي ... فآثرك الله من ثائر

وقت بنصر له الورى   فسماك بالملك الناصر
وتسهر جفنك فى حق من   سيرضيك في جفنك الساهر
فتحت المقدس من أرضه   فعادت الى وصفها الطاهر
وجئت لى قدسه المرتضى   فخاصته من يد الكافر
وأعليت فيه منار الهدى   وأحييت من رسمه الدائر
لكم زخر الله هذى الفتوح   من الزمن الاول الغابر
وخص من بعد ما ذرته   بها لاصطناعك فى الآخر
محبتكم ثبتت فى النفوس   بذكر لكم فى الورى طاهر
فكم لهم عند ذكر الملوك   بمثلك من مثل سائر
رفعت مغرم أرض الحجاز   بإنعامك الشامل الغامر
وآمنت اكناف تلك البلاد   فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة   على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد   وكم لك في الغرب من شاكر
وكم بلدة لكم كل عام   بمكة من معلن جاهر
وكم بقيت حبسه بظلام   وتلك الذخيرة في الفاخر
يعنت حج بيت الاله   ويسطو بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بأيديهم   وناهيك من موقف صاغر
وقد أوقفوا عدما كوشفوا   كأنهم فى يد الآسر
ويبرمهم حلف باطلا   وعقبي اليمين على الفاجر
وان عرضت بينهم حرمة   فبئس لها عنه من ساتر

أليس يخاف غدا عرضه   على الملك القادر القاهر
وليس على حرم المسلمين   بتلك المشاهد من غائر
ولا حاضر نافع زجره   فياذلة الحاضر الزاجر
الا ناصح مبلغ نصحه   الى الملك الناصر الظافر
ظلوما تضمن مال الزكاة   لقد نفست صفقة الخاسر
يسر الخيانة في باطن   و يبدى النصيحة فى الظاهر
فأوقع به حادث انه   بقبح أحدوثة الذاكر
فما للمناكر من زاجر   سواك وبالعرف من آمر
وحاشاك ان لم تزل رسمها   فما لك في الناس من عاذر
ورفعك امثالها موسعا   رداء فخارك من ناشر
وآثرك العز تبغي بها   وتلك المآثر للآثر
نذرت النصيحة فى حقكم   وحق الوفاء على الناذر
وحبك الطفني بالقريض   وما ابتغي صلة الشاعر
ولا كان فيما مضي مكسبي   و بئس البضاعة التاجر
اذا الشعر صار شعار الفتى   فناهيك من لقب شاهر
وان كان نظمى له نادر   فقد قيل لا حكم للنادر
ولكنها خطرات الهوى   تعز فتغلب بالخاطر
وأما وقد زار تلك العلى   فقد فاز بالشرف الباهر
وان كان منك قبول له   فتلك الكرامة للزائر
ويكفيك سمعك من سامع   ويكفيك لحظك للناظر

ويزهي على الروض غب الحيا　　بما حاذ من ذلك العاطر

قلت هكذا حدثني أبو عبد الله بهذه الحكاية وقد وقعت في كتابه مشهورة لم يذكر فيه الا ما أثبته وبالله التوفيق وأنشدني أبو عبد الله أيضاً عن ابي العباس المذكور عن ابن جبير قصيدة نظمها ارتجالا حين تراءت له مدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهي هذه اقول وآنست الايات

وقال علي بن ظافر في بدائع البداية انبأني المسكي نزلت من الفراق لوداع الاجل ابي الحسين بن جبير فقال كنت علي المجيء اليك فقلت وهمة سيدي هي التي آتت به فسألني عن القرافة فقلت هي موضع يصلح للخير والشر من طلب شيئاً وجده فقال خذ هذه الحكاية كنت متفرجاً في مكان وبت به ثم اقبلت منه بكرة فلقيني تلميذ لي فقال

من ين اقبلت يا من لا نظير له　　ومن هو الشمس والدنيا له فلك

فأجبته مسرعا

من موضع تعجب النساك خلوته　　وفيه ستر علي الفتاك ان فتكوا